

فجر القُدَى والإيمان

من قصص الأنبياء

للصغار واليافعين

يونس



دار القلم العربي

للأطفال

من قصص الأنبياء

للصغار واليافعين

- ١- آدم عليه السلام
- ٢- نوح عليه السلام
- ٣- هود عليه السلام
- ٤- صالح عليه السلام
- ٥- إبراهيم عليه السلام
- ٦- إسماعيل عليه السلام
- ٧- يُوسُف عليه السلام
- ٨- شُعيب عليه السلام
- ٩- أيُّوب عليه السلام
- ١٠- يونس عليه السلام
- ١١- موسى عليه السلام
- ١٢- داود عليه السلام
- ١٣- سُليمان عليه السلام
- ١٤- زكريا ويحيى عليهما السلام
- ١٥- عيسى عليه السلام
- ١٦- محمد صلى الله عليه وسلم

من قصص الأنبياء ، قصصٌ أُثِّرت وزيدت إشراقاً بذكر أخبار رُسل
الرحمة والإنسانية ، رُسلُ الحبة والسلام ، حقاً إنهم كانوا فجرَ الهدى والإيمان ،
صلوات الله عليهم وسلامه ، الذين أثاروا ظلامَ عقول البشر ، واقتلعوا منها
الأوهام والباطيل ودعوا إلى عبادةِ إلهٍ واحدٍ لا شريك له ، بدءاً من آدم عليه السلام
وانتهاءً بناتم الأنبياء والمرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم الذي
أخبره الله تعالى في سورة هود عن نبأ من تقدمه من رُسلٍ وأنبياء .
قال الله تعالى : (وَكَأَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا ثَبَّتْنَا بِهِ فُؤَادَكَ
وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)

الناشر

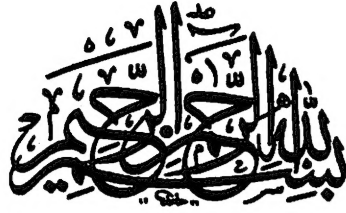
فَجَرُّ الْهُدَى وَالْإِيمَانِ



مراجعة : يوسف عبد الكريم عساني

إعداد وترتيب : زهير مصطفى

جميع الحقوق محفوظة لدار القلم بحلب ولا يجوز إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه
أو طباعته ونسخه أو تسجيله إلا بإذن مكتوب من الناشر



منشورات

دار القلم العربي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

مضبوطة ومشكولة

1421هـ - 2001م

عنوان الدار:

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي - شارع هدى الشعراوي

ص.ب: 78 هاتف: 2213129 فاكس: 2212361 21 963 +

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (١).

فَقَدْ خَاطَبَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ الَّذِي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ . نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ، ﷺ مُخْبِرًا إِتْيَاهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، أَنَّ هَذِهِ الْقِصَصَ الْوَارِدَةَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، مَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى تُنَبِّهُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَا كَانَ مِنْ أَخْبَارِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ ، وَمَاذَا حَلَّ بِهِمْ بَعْدَ أَنْ طَغَوْا وَبَغَوْا ، وَتَكَبَّرُوا وَأَعْرَضُوا عَنْ كَلِمَةِ الْحَقِّ وَاسْتَمَرُّوا فِي كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ ، فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :

﴿ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢).

(١) سورة: يوسف (٣).

(٢) سورة: هود الآية (١٢٠).

فَقَدْ حَوَى الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَنْبَاءَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ وَأَخْبَارَ مَا بَعْدَهَا،
 وَرَوَاهَا بِصِدْقٍ، فَهُوَ مُعْجَزٌ فِي صِدْقِهِ وَإِخْبَارِهِ، لِأَنَّهُ كَتَابُ صِدْقٍ
 وَحَقٍّ. فَقَدْ أَعْلَمَنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، عَنْ أَنْبَاءِ أَثْبَتِهَا
 الْعُلَمَاءُ فِيمَا بَعْدُ فَتِلْكَ الْأَحَادِيثُ وَالْأَخْبَارُ، لَمْ يُوْتِ بِهَا عِبْتًا، وَلَمْ
 تَكُنْ كَذِبًا، بَلْ هِيَ أَخْبَارٌ صَادِقَةٌ صَحِيحَةٌ، لِأَنَّهَا تَصْدُرُ عَنْ رَبِّ هَذَا
 الْكَوْنِ وَخَالِقِهِ، وَعَنْ إِلَهٍ عَظِيمٍ لَاحْدُودٍ لِقُدْرَتِهِ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ
 لَشَيْءٍ كُنْ فَيَكُونُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١) مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى^(٢)
 وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ
 يُؤْمِنُونَ﴾^(٣).

نَعَمْ ، أَيُّ الْقَصَصِ أَكْثَرُ عِبْرَةً وَعِظَةً، وَفَائِدَةً تُرْجَى ، وَعِلْمًا يُنْتَفَعُ
 بِهِ، مِنْ قَصَصِ الْقُرْآنِ؟ وَمِنْ هَذِهِ الْقَصَصِ الَّتِي حَدَّثَنَا بِهَا اللَّهُ عَزَّ
 وَجَلَّ، فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، قِصَّةُ النَّبِيِّ يُوْنُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَغَيْرِهِ مِنَ
 الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي بَعْضِ السُّورِ وَالَّذِينَ قَصَصْنَا
 لِبَعْضِهِمْ وَسَنَقُصُّ لِبَعْضِهِمُ الْآخِرِ. يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ
 الصَّافَّاتِ:

(١) الألباب: العقول.

(٢) يفتري: يكذب.

(٣) سورة: يوسف (١١١).

﴿ وَإِنْ يُؤْثِرْ لِمَنْ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ ^(١) إِلَى الْفَلَكَ ^(٢) الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ ^(٣) فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ^(٤) ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ ^(٥) الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ^(٦) ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ^(٧) لَلِيتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٣﴾ فَبَدَّنَتْهُ ^(٨) بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ^(٩) ﴿١٤٤﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ^(١٠) ﴿١٤٥﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ ^(١١).

النبي يونس

أَرْسَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، النَّبِيَّ يُونُسَ إِلَى أَهْلِ نَيْنَوَى ^(١١)، الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَالْتِمَائِلَ، الَّتِي لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، وَالَّتِي كَانُوا يَصْنَعُونَهَا بِأَيْدِيهِمْ، ثُمَّ يَسْجُدُونَ لَهَا وَيُعَظِّمُونَهَا، يَا لَهُمْ مِنْ

(١) أَبَقَ: هرب.

(٢) الفلك: السفينة.

(٣) ساهم: أي ضرب القرعة.

(٤) المدحضين: المغلوبين بالقرعة.

(٥) فالْتَقَمَهُ: ابتلعه.

(٦) مُلِيمٌ: أي أتى بما يلام عليه.

(٧) نَبَذْنَاهُ: ألقيناه من بطن الحوت.

(٨) سَقِيمٌ: عليل مريض.

(٩) يَقْطِينٌ: القرع.

(١٠) سورة: الصافات (١٣٩ - ١٤٧).

(١١) نَيْنَوَى: مدينة في العراق.

حَمَقَى يَعْبُدُونَ أَصْنَاماً حَجَرِيَّةً، لَا تَنْطِقُ، بَلْ لَيْسَتْ قَادِرَةً عَلَى دَفْعِ
الضَّرِّ عَنْ نَفْسِهَا، فَكَيْفَ تَدْفَعُ الضَّرَّ عَنْ غَيْرِهَا؟ وَهُمْ كَغَيْرِهِمْ مِنَ
الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ، يَعْبُدُونَهَا لِأَنَّهُمْ رَأَوْا آبَاءَهُمْ وَأَجْدَادَهُمْ
يُقَدِّسُونَهَا وَيَعْبُدُونَهَا وَحَاوَلَ النَّبِيُّ يُؤْنَسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنْ يَهْدِيَ
قَوْمَهُ الَّذِينَ عَمِيَتْ عُيُونُهُمْ عَنْ رُؤْيَةِ الْحَقِّ، وَأُغْلِقَتْ قُلُوبُهُمْ،
وَأُوصِدَتْ أَمَامَ كُلِّ خَيْرٍ، وَكُلِّ نُورٍ، فَأَظْلَمَتْ عُقُولُهُمْ وَتَاهَتْ
أَفْكَارُهُمْ، فَجَعَلُوا يَتَخَبَّطُونَ بِمَهَاوِي الشَّرِكِ وَالضَّلَالَةِ وَالْعَمَى،
وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، وَدَعَاهُمُ النَّبِيُّ يُؤْنَسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَى تَرْكِ عِبَادَةِ
الْأَصْنَامِ، وَإِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِأَنَّهُ وَحْدَهُ جَدِيرٌ بِالْعِبَادَةِ،
وَوَحْدَهُ جَدِيرٌ بِالتَّقْدِيسِ، قَائِلًا لَهُمْ:

- يَا قَوْمِ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ هِدَايَةً وَرَحْمَةً، لَأَخْذَ
بِيَدِكُمْ إِلَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ. حَيْثُ تَنْعَمُونَ بِنِعَمٍ لَمْ تَرَوْهَا وَلَمْ تَسْمَعُوا بِهَا.
فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ الضَّالُّونَ:

- أَلْهَذَا تَدْعُونَا يَا يُؤْنَسُ.؟ تَأْمُرُنَا أَنْ نَدَعَ مَا عَبَدَهُ آبَاؤُنَا وَأَجْدَادُنَا
وَنَعْبُدَ إِلَهًا لَا نَعْرِفُهُ بَلْ كَيْفَ تَتَجَرَّأُ عَلَى ذَلِكَ؟ وَأَنْتَ وَاحِدٌ مِنَّا وَمِنْ
عَامَّتِنَا. فَقَالَ لَهُمْ يُؤْنَسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

- يَا قَوْمِ اسْمَعُونِي وَأَطِيعُونِي، يَهْدِيكُمُ اللَّهُ، وَيُخَلِّصْكُمْ مِنْ عَذَابِ
شَدِيدٍ، ابْتَغِدُوا يَا قَوْمِ عَنْ هَوَايَةِ التَّقْلِيدِ، وَأَزِيحُوا عَنْ عُقُولِكُمْ سَتَائِرَ
الْأَوْهَامِ وَالضَّلَالَةِ، وَعُودُوا إِلَى رُشْدِكُمْ، وَفَكِّرُوا وَتَدَبَّرُوا، وَانْظُرُوا

إِلَى مَا تَعْبُدُونَ، أَهِيَ قَادِرَةٌ أَنْ تَحْمِيَكُمْ مِنَ الشَّرِّ؟ أَهِيَ قَادِرَةٌ أَنْ تَخْلُقَ شَيْئًا؟ أَهِيَ قَادِرَةٌ أَنْ تُحْيِيَ وَتُمِيتَ، أَوْ تَشْفِيَ مَرِيضًا أَوْ تَرُدَّ ضَالًّا.

ثُمَّ لِمَاذَا تُغْلِقُونَ عُقُولَكُمْ، عَنْ هَذَا الدِّينِ الَّذِي أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ؟ وَهُوَ الَّذِي يُرْشِدُكُمْ إِلَى مَا فِيهِ صَلَاحُكُمْ، وَيَدُلُّكُمْ إِلَى مَا فِيهِ خَيْرُكُمْ، وَيُبْغِضُ إِلَيْكُمْ الظُّلْمَ وَالطُّغْيَانَ، وَيَنْشُرُ فِيمَا بَيْنَكُمْ الْعَدْلَ وَالْإِطْمِئْنَانَ، وَيَذْفَعُكُمْ إِلَى التَّرَاحُمِ فِيمَا بَيْنَكُمْ، وَإِلَى الْعَطْفِ عَلَى الْمِسْكِينِ وَالتَّصَدَّقِ عَلَى الْفَقِيرِ، فَمَاذَا كَانَ جَوَابُهُمْ؟:

لَمْ يَظْفَرْ النَّبِيُّ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهُمْ إِلَّا بِجَوَابِ الْجَاهِلِينَ الْمُتَعَصِّبِينَ، الَّذِينَ صَدَّتْ عُقُولُهُمْ، قَالُوا لَهُ:

- مَا أَنْتَ يَا يُونُسُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلَنَا، وَلَسْنَا بِمُؤْمِنِينَ لَكَ، وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

- يَا قَوْمُ هَا أَنْذَا، قَدْ دَعَوْتُكُمْ بِاللَّيْنِ وَالصَّبْرِ، وَجَادَلْتُكُمْ بِالْبَيِّنِ هِيَ أَحْسَنُ، وَحَاوَلْتُ هِدَايَتَكُمْ، وَانْتِشَالَكُمْ مِنْ مُسْتَنْقَعِ الضَّلَالَةِ وَالْعَمَى، إِلَى بَرِّ الْأَمَانِ وَالْإِطْمِئْنَانِ، فَأَوْصَدْتُمْ عُقُولَكُمْ، فَلَمْ تَسْمَعُوا لِي وَلَمْ تَسْتَجِيبُوا لِنِدَاءِ رَبِّي، وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَصِلَ دَعْوَتِي إِلَى قَرَارَةِ نَفْسِكُمْ، وَلَكِنْ هِيَاهُنَا^(١) وَلِذَا فَإِنِّي أَنْذِرُكُمْ عَذَابًا

(١) هيهات: اسم فعل ماض بمعنى بَعُدَ.

وَاقِعًا، وَبَلَاءَ نَازِلًا، وَهَلَاكًا قَرِيبًا، فَانْتَظِرُوا عَذَابَ اللَّهِ، إِنَّ عَذَابَ اللَّهِ قَرِيبٌ.

فَقَالَ لَهُ قَوْمُهُ:

- يَا يُونُسُ. مَا تُحَاوِلُ إِلَّا عِبَثًا، فَنَحْنُ لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ، وَلَنْ نَخَافَ مِنْ وَعِيدِكَ وَتَهْدِيدِكَ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَأْتِنَا بِالْبُرْهَانِ وَالدَّلِيلِ، عَلَى مَا تَعِدُنَا مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ.

هَجْرَةُ يُونُسَ

وَصَاقَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذُرْعًا، وَلَمْ يَسْتَطِعْ عَلَيْهِمْ صَبْرًا، وَقَطَعَ كُلَّ أَمَلٍ لَهُ فِيهِمْ، وَيَسَسَ مِنْ كُلِّ رَجَاءٍ، أَلَمْ يَدْعُهُمْ فَلَمْ يُؤْمِنُوا؟ أَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ طَرِيقَ الْخَيْرِ مِنْ طَرِيقِ الشَّرِّ فَلَمْ يَزِدُّوْا، عِنْدَيْهِ، صَمَمَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الرَّحِيلِ، فَعَادَرَهُمْ غَاضِبًا مِنْ كُفْرِهِمْ، يَائِسًا مِنْ إِيْمَانِهِمْ، وَظَنَّ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّ دَوْرَهُ قَدْ انْتَهَى، وَحَسِبَ أَنَّ مَا قَامَ بِهِ كَانَ كَافِيًا، وَلَكِنْ لَعَلَّهُ إِنْ كَانَ قَدْ أَطَالَ الْبَقَاءَ عِنْدَهُمْ، وَالْمُكُوثَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ مُدَّةً أَطْوَلَ، وَاسْتَمَرَّ فِي نَشْرِ دَعْوَتِهِ، لَرَبَّمَا وَجَدَ فِيهِمْ مَنْ يَخْفُقُ لِلْإِيْمَانِ، وَلِكِنَّهُ رَحَلَ دُونَ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ بِالْهَجْرَةِ، لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا، وَلِيَلْقَى النَّبِيُّ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ اللَّهِ قَضَاءً، وَيَتَلَقَّى جَزَاءً.

العذابُ فالتوبةُ

وَيَمْضِي يُؤْتَسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَمْ يَكْذِبْ تَعِدُّ، إِلَّا قَلِيلًا، حَتَّى
لَا حَتَّ فِي الْأَفْقِ، وَظَهَرَتْ عَلَائِمُ الْهَلَاكِ، فَاسْوَدَّتِ السَّمَاءُ،
وَتَلَبَّدَتْ بِالْغُيُومِ الدُّكْنِ^(١)، وَاغْبَرَّ الْجَوُّ فَاصْفَرَّتْ وَجُوهُ الْقَوْمِ
وَعَلَاهَا الْخَوْفُ وَالْفَزَعُ، وَاضْطَرَبَتْ نَفُوسُهُمْ وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُمْ
فَأَيَقُنُوا عِنْدَيْدٍ، أَنَّ اللَّهَ حَقٌّ وَأَنَّ يُؤْتَسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَأَنَّ
الْعَذَابَ لَاحِقٌ بِهِمْ لَا مَحَالَةَ كَمَا لَحِقَ بِأَقْوَامٍ قَبْلَهُمْ سَمِعُوا بِهِمْ،
كَقَوْمِ عَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَتَابُوا^(٢) إِلَى رُشْدِهِمْ،
وَخَرَجُوا صِغَارًا وَكِبَارًا، نِسَاءً وَرِجَالًا، إِلَى أَعَالِي الْجِبَالِ، وَبُطُونِ
الصَّحَرَاءِ، مُتَوَسِّلِينَ مُتَضَرِّعِينَ، يَسْأَلُونَ إِلَهَ يُؤْتَسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
الْمَغْفِرَةَ وَالْعَفْوَ، فَتَابُوا إِلَى اللَّهِ وَآمَنُوا بَعْدَ أَنْ فَرَّقُوا بَيْنَ الْأُمَّهَاتِ
وَأَطْفَالِهِنَّ، وَالْبَقَرِ وَأَوْلَادِهِنَّ، وَالْغَنَمِ وَحِمْلَانِهِنَّ، وَأَخَذَ الْجَمِيعُ
يَصْرُخُونَ، فَصَاحَتِ الْأُمَّهَاتُ خَوْفًا وَجَزَعًا عَلَى أَطْفَالِهِنَّ، وَخَارَتِ
الْبَقَرُ وَتَغَتِ^(٣) الْغَنَمُ، فَكَانَتْ سَاعَةً زَالَ بَعْدَهَا كُلُّ شَيْءٍ، إِذْ قَذَفَ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قُلُوبِهِمُ التَّوْبَةَ وَالْإِنَابَةَ، وَنَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ

(١) الغيوم الدكن: الغيوم السوداء المحملة بالأمطار.

(٢) تابوا: عادوا.

(٣) التَّغَاءُ: صوت الغنم.

مِنْ عَظِيمِ الذُّنُوبِ، فَبَسَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ رَحْمَتِهِ، وَرَفَعَ عَنْهُمْ نِقْمَتَهُ، وَتَقَبَّلَ مِنْهُمْ التَّوْبَةَ وَالْإِنَابَةَ، إِذْ كَانُوا فِي ثَوْبَتِهِمْ مُخْلِصِينَ، وَفِي إِيمَانِهِمْ صَادِقِينَ، فَردَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُمْ الْعَذَابَ، وَمَنَعَ عَنْهُمْ الْعِقَابَ، فَعَادُوا إِلَى دِيَارِهِمْ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ مُؤْمِنِينَ، وَكَمْ وَدُّوا لَوْ عَادَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ يُؤْتِسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِيَعِيشَ مَعَهُمْ نَبِيًّا عَزِيزًا وَمُكْرَمًا وَكَمْ وَدُّوا لَوْ عَادَ إِلَيْهِمْ لِيَعْوِضُوهُ، عَمَّا سَلَفَ مِنْهُمْ، مِنْ إِنْكَارِ وَأَذَى لِحَقِّ بِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ:

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا﴾^(١).

وَلَمْ يَحْدُثْ أَنْ ءَامَنَتْ قَرْيَةٌ، بِنَبِيِّ مُرْسَلٍ، إِلَّا قَالَ أَغْنِيَاوَهَا وَمُتَرَفُّوَهَا: إِنَّا نَحْنُ بِمَا جِئْتَ كَافِرُونَ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَرَفُّوَهَا^(٢) إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِء كَافِرُونَ﴾^(٣).

وَلَكِنَّ قَوْمَ يُؤْتِسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ءَامَنُوا بِكَامِلِهِمْ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ:

(١) سورة: يونس (٩٨).

(٢) مترفوها: أغنياؤها.

(٣) سورة: سبأ (٣٤).

﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَذَابَ الْخَرَيِ فِي الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(١).

وَكَانَ عَدَدُ سُكَّانِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، أَيِ قَرْيَةِ نَيْنَوَى، الَّتِي بُعِثَ إِلَى أَهْلِهَا النَّبِيُّ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِثَّةَ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ قَلِيلًا، وَهَذَا مَا يُؤَيِّدُهُ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ:

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾^(٢) فَتَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ^(٢).

يُونُسُ فِي بطنِ الْحَوَى

أَخَذَ النَّبِيُّ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَسِيرُ وَيَسِيرُ، بَعْدَ أَنْ فَارَقَ قَوْمَهُ، وَتَرَكَ دِيَارَهُمْ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى الْبَحْرِ، حَيْثُ وَجَدَ مَجْمُوعَةً مِنَ النَّاسِ، تَهُمُّ بِرُكُوبِ السَّفِينَةِ، فَطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يَصْطَحِبُوهُ مَعَهُمْ، وَيَحْمِلُوهُ حَيْثُ يَتَّجِهُونَ. فَرَحَّبُوا بِهِ وَقَالُوا لَهُ:

- أَهْلًا وَسَهْلًا بِكَ، فَوَاللَّهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا كَرِيمَ النَّسَبِ، عَظِيمَ الشَّانِ، وَأَنْزَلُوهُ بَيْنَهُمْ وَأَكْرَمُوهُ إِكْرَامًا عَظِيمًا.

وَمَا إِنَّ ابْتَعَدَتِ السَّفِينَةُ، قَلِيلًا عَنِ الشَّاطِئِ، وَتَجَاوَزُوا الْبَرَّ،

(١) سورة: يونس (٩٨).

(٢) سورة: الصافات (١٤٧ - ١٤٨).

حَتَّى أَرْسَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، رِيَّاحًا هَوَّجَاءَ^(١)، وَكَأَنَّهَا الْأَعَاصِيرُ،
فَهَاجَتِ الْأَمْوَاجُ، وَمَاجَتْ وَأَخَذَتْ تَتَعَالَى، وَمَعَهَا السَّفِينَةُ، تَعْلُو
وَتَهْبِطُ، كَقَشَّةٍ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ، وَأَدْرَكَ رُكَّابُهَا أَنَّهُمْ لَا مَحَالَةَ
سَيَغْرَقُونَ.

وَنَهَضَ أَحَدُ رُكَّابِهَا، وَقَدْ تَفَتَّتْ فِي ذَهْنِهِ فِكْرَةٌ مَا، قَائِلًا:

يَا قَوْمُ هَانَحْنُ وَسَطَ هَذَا الْبَحْرِ اللَّجِّيِّ، فَالْمَاءُ وَالْأَعَاصِيرُ
تُحِيطُ بِنَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَلَا خَلَاصَ لَنَا جَمِيعًا، إِلَّا بِهَلَاكِ
بَعْضِنَا!! وَدُهِشَ الْقَوْمُ وَقَالُوا: مَاذَا تَقُولُ يَا رَجُلُ؟ وَمَنْ هَذَا الَّذِي
سَيُضْحِكُ بِنَفْسِهِ مِنْ أَجْلِنَا. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ قَائِلًا: يَا قَوْمُ مَا لَنَا سِوَى
التَّخْفِيفِ، فَلَا نَجَاةَ لَنَا، وَلَا مَخْلَصَ إِلَّا بِهَلَاكِ أَحَدِنَا، حَتَّى نُخَفِّفَ
الْوِزْنَ وَإِنِّي أَذْعُوكُمْ إِلَى أَنْ تَقْتَرِعُوا، فَمَنْ خَرَجَتْ الْقُرْعَةُ عَلَيْهِ،
أَلْقَيْنَاهُ فِي الْبَحْرِ، فَتَنَجَّوْا بِهَلَاكِهِ، وَلَا قِتَ الْفِكْرَةَ اسْتِحْسَانًا، لَدَى
رُكَّابِ السَّفِينَةِ فَاقْتَرِعُوا فَخَرَجَتْ الْقُرْعَةُ عَلَى النَّبِيِّ يُوثُسَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ، لَكِنَّ الْقَوْمَ رَفَضُوا أَنْ يُلْقَى النَّبِيُّ يُوثُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ
ضَيْفُهُمْ، وَمِنْ وَاجِبِهِمْ إِكْرَامُهُ وَالْإِحْسَانُ إِلَيْهِ، فَأَعَادُوا الْقُرْعَةَ،
فَخَرَجَتْ عَلَيْهِ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَرَفَضُوا الْإِقَاءَةَ فِي الْبَحْرِ، وَعِنْدَمَا أَعَادُوهَا
لِلْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ، خَرَجَتْ عَلَى النَّبِيِّ يُوثُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عِنْدَهَا أَدْرَكَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّ فِي الْأَمْرِ سِرًّا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَأَنَّ اللَّهَ فِي

(١) هوجاء: شديد، قوية.

ذَلِكَ حِكْمَةٌ وَتَذْيِيرًا، وَتَذَكَّرَ مَا كَانَ مِنْهُ، عِنْدَمَا تَرَكَ قَوْمَهُ، وَمَا ارْتَكَبَ مِنْ ذَنْبٍ وَخَطِيئَةٍ، عِنْدَمَا غَادَرَهُمْ دُونَ إِذْنِ بِالْهَجْرَةِ، فَأَلْقَى بِنَفْسِهِ فِي الْيَمِّ^(١) الْمُتَلَاطِمِ الْأَمْوَاجِ، الَّتِي أَخَذَتْ تَتَقَاذَفُهُ، فَيَعْلُو وَيَهْبِطُ، وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَدْ أَسْلَمَ نَفْسَهُ لِبَارِيهَا^(٢) عَزَّ وَجَلَّ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، شَاءَتْ إِرَادَتُهُ الْعَلِيَّةُ، أَنْ يَحْفَظَ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَوْحَى إِلَى أَحَدِ الْحَيَّاتَيْنِ، أَنْ يَبْتَلَعَهُ، وَأَمَرَهُ أَلَّا يَأْكُلَ لَهُ لَحْمًا، وَلَا يَهْشِمَ لَهُ عَظْمًا، فَلَيْسَ لَهُ بِرِزْقٍ.

دعاء يونس

اسْتَقَرَّ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي بَطْنِ الْحُوتِ، الَّذِي أَخَذَ يَشُقُّ عُقَابَ الْأَمْوَاجِ، وَيَهْوِي إِلَى الْقَاعِ، ثُمَّ يَصْعَدُ، وَيَنْتَقِلُ مِنْ بَحْرِ إِلَى بَحْرٍ، وَيُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَا حَرَكَ فِيهِ، فَحَسِبَ أَنَّهُ مَاتَ وَعِنْدَمَا حَرَّكَ جَوَارِحَهُ^(٣)، تَحَرَّكَتْ، فَأَذْرَكَ أَنَّهُ حَيٌّ يُرْزَقُ فَخَرَّ سَاجِدًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَائِلًا:

- يَا رَبِّ لَقَدْ اتَّخَذْتُ مَسْجِدًا أَعْبُدُكَ فِيهِ، لَمْ يَتَّخِذْهُ أَحَدٌ مِنْ قَبْلِ.

(١) اليم: البحر.

(٢) باريها: خالقها.

(٣) جوارحه: أعضائه.

وَسَمِعَ النَّبِيُّ يُؤْتَسُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ، تَسْبِيحَ الْحِيتَانِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا سَمِعَ تَسْبِيحَ الْحَصَى لِرَبِّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضَيْنِ السَّبْعِ، وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى^(١)، وَعِنْدَئِذٍ قَالَ يُؤْتَسُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا قَالَ، كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُ ذُو الْعِزَّةِ وَالْجَلال، عَالَمُ الْخَفَايَا وَإِنْ صَغُرَتْ، وَمُجِيبُ الدَّعَوَاتِ وَإِنْ عَظُمَتْ، حَيْثُ قَالَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ:

﴿وَذَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْلَضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُمْ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

وَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ مِنْ قَائِلِ سُورَةِ الْقَلَمِ: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحَوْتِ^(٣) إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ^(٤) ﴿٨٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُوهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٨٩﴾ فَاجْتَنِبْهُ^(٦) رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

(١) الثرى: التراب.

(٢) سورة الأنبياء (٨٧، ٨٨).

(٣) أي في الضجر والعجلة.

(٤) مكظوم: مملوء غماً في بطن الحوت.

(٥) لنبذ: أي طرد من بطن الحوت.

(٦) فاجتنبه: اختاره.

(٧) سورة القلم (٤٨ - ٥٠).

نِجَاهُ يُونُسَ

اسْتَجَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِدُعَاءِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَوْحَى إِلَى
الْحُوتِ، فِي الْمَاءِ أَنْ الْفُظَّ وَالْقَى مَا فِي بَطْنِكَ فِي الْعَرَاءِ، بَعْدَ أَنْ
نَالَ مَا قَدَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، مِنْ جَزَاءٍ، وَخَرَجَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ
بَطْنِ الْحُوتِ ضَعِيفًا سَقِيمًا مَرِيضًا فَتَلَقَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِوَاسِعِ
رَحْمَتِهِ، وَعَظِيمِ مَغْفِرَتِهِ، فَرَزَقَهُ شَجَرَةً مِنْ يَاقُوتٍ^(١)، أَكَلَ مِنْ ثَمَرِهَا
وَتَقَيَّأَ^(٢) بِظِلِّهَا كَمَا هَيَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ أَرْوِيَّةً^(٣) أَرْضَعَتْهُ بِلَبَنِهَا^(٤)،
فَكَانَتْ تَأْتِيهِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، حَتَّى عَادَتْ إِلَيْهِ الْعَافِيَةُ وَدَبَّتْ فِيهِ مَاءُ
الْحَيَاةِ وَسَرَتْ فِي عُرْوَقِهِ دِمَاءُ الْحَيَوِيَّةِ وَالنَّشَاطِ فَاسْتَوَى وَاقِفًا وَرَجَعَ
إِلَى سَابِقِ عَهْدِهِ فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ: أَنْ عُدْ إِلَى بَلَدِكَ
وَقَرَّتِكَ، مَوْطِنِ أَهْلِكَ وَعَشِيرَتِكَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ آمَنُوا، وَنَبَذُوا الْأَوْثَانَ،
وَهَكَذَا مِنْ اللَّهِ عَلَى يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَاسْتَجَابَ دَعْوَتَهُ وَهُوَ فِي
بَطْنِ الْحُوتِ، وَأَنْقَذَهُ مِنَ الْحُزْنِ وَالْغَمِّ، وَهَذَا هُوَ صَنِيعُ اللَّهِ عَزَّ

(١) يَقُطِينُ: الْقِرْعُ.

(٢) تَقَيَّأَ: اسْتَظَلَّ.

(٣) أَرْوِيَّةٌ: أَثْنَى الْوَعْلَ جَمْعُهَا أَرْوَى.

(٤) اللَّبَنُ: الْحَلِيبُ.

وَجَلَّ بِكُلِّ مَنْ دَعَاهُ وَاسْتَجَارَ بِهِ، مُخْلِصًا مُنِيْبًا فَمَنْ حَفِظَ اللهُ حَفِظَهُ، وَمَنْ ذَكَرَهُ فِي الرَّخَاءِ أَنْقَذَهُ فِي الشَّدَّةِ.

يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«يَا غُلَامُ إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشَّدَّةِ».
